أبحث عن حجابْ

دخلَ الجنودْ

وضعوا الرباط على فمي

حلّوا أساور معصمي

وأبي الضريرْ

قتلوه غدرًا في السريرْ

وأخي الصغيرْ

نزعوا الغطاء وكبّلوهْ

عبثوا بلعبته الصغيرةِ.. عذّبوهْ

نزعوا حجابي.. واستباحوا هتك أعراض النساءْ

وقفزتُ من سطحٍ إلى سطحٍ.. أجاهد كي أفرّ

خلفي صراخ مستمرّ

أعدو وتنبحني الكلابْ

وهُرعتُ أبحث عن حجابْ

***

سافرتُ من حلب إلى صنعاء والخرطوم حتّى القاهرهْ

في أرض مصر وجدتُ ناسا طيّبينْ

كانوا كأهلي.. محسنينْ

ليلا.. نبيت على الحصيرْ

ونعيش في كنف القبورْ

لا سقفَ يحمينا من المطر الغزيرْ

نتقاسم الرزق اليسيرْ

والخبز لا يكفي الفَطورْ

حتّى إذا قالوا نثورْ

دخل الجنودْ

قتلوا الرجال وركّعونا بالسلاحْ

نبشوا القبور.. وكلُّ شيء مستباحْ

حتّى العجائز والنساءْ

الدار ترجُف بالبكاءْ

ماذا لنا.. إلّا الدعاءْ!

وسترتُ شعري واختبأت فأدركونيْ

نزعوا الحجاب وعذّبونيْ

حتّى إذا أَفْلَتُّ منهم قرب بابْ

تركوا السلاح وأطلقوا خلفي الكلابْ

وهُرعتُ أبحث عن حجابْ

***

في مكةَ استوقفتُ شيخا في الطريقِ.. فقال لي:

ادعي لمولانا وليّ الأمر حتّى يكشف الله البلاءْ

وتحجّبي.. من رأسكِ المكشوف حلّ على مدائننا الغلاءْ

فأجبتُه: إنّي هُرعتُ إلى المدينة خائفهْ

ونسيتُ ثوبي حين أدركني الخطرْ

قد شفّ ثوبي بالمطرْ

تجتاحني تلك الرياح القاصفهْ

فلتحمِني..

قال: الحماية في السماءِ.. تجلّدي

وتضرّعي لله يرسلْ عاصفهْ

تقضي على أعدائنا

هذا وباء حلّ في بلداننا

لا مخرجٌ من غمّنا.. إلّا دعاء مستجابْ

فعدوتُ من بلد إلى بلد تطاردني الذئابْ

نبذٌ.. وتجريحٌ.. ونهشٌ.. واغترابْ

أوليس يكفي أنّني غادرتُ أرضي؟!

ورهنتُ قُرطي

والضفائرُ بعتُها، لأصون عرضي

وخدمتُ كي أحيا شريفهْ

والناس تنهشني بأقوال عنيفهْ

عودي لأرضك يا غريبهْ

أنَّى أعود وكان في إثري كتيبهْ؟

ولمن أعودْ؟!

أهلي على الأنقاض باتوا

وعشيرتي بالغاز ماتوا

أمّا الذين نجوا.. فها هم قد تواروا في الركامْ

وسقطتُ مغشيّا عليّ

يا لِلضعيفة، أدركوني

يا أهل يثربَ دثّروني

وتعالت الأصوات تنهشني.. وأبواق السياسهْ

عريانة أمشي بأسواق النخاسهْ

فسترتُ رأسي وانحنيتْ

وابتاعني برميل زيتْ

الآن لي سقف وبيتْ

بل سيّد يقضي الليالي في ضجرْ

هذا الخَصيّ يريدني.. وغلامه الروميّ أولاه الدبرْ

كم ليلة سيدوم لي هذا الصمودْ؟

قاومتُه كيلا يعودْ

هاجمتُهُ

ودفعتُهُ

حتّى إذا عيّرتُهُ.. نادى الجنودْ

نزعوا لباسي.. ركّعوني

من كل سِتر جرّدوني

والناس حولي يشهدونْ

أبكي.. ولا يتحرّكونْ

يتهامسونْ

وأنا أقاوم الاغتصابْ

حتّى سقطتُ على الترابْ

أحبو.. وتتبعني الكلابْ

وزحفتُ أبحث عن حجابْ